الوسطية الشرعية
مفهوم ومعالم

الأستاذ الدكتور
عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

((الوسطية الشرعية: مفهوم ومعالم))

أ.د/ عبدالله بن عمر الدميجي

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونثني عليه الخير كله، ونشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يكفرك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، وأشهد أن نبينا محمد، عبد الله ورسوله الداعي إلى سبيل ربه والموصل إليه، لا خير إلا دلّنا إليه، ولا شر إلا حذّرنا منه، صلى الله عليه وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فإن أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها علينا معشر المسلمين أن شرع لنا دينا قويما، وهدانا صراطا مستقيما، أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أفضل كتبه، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، أمة وسطا، لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدا.

وقد أتم الله تعالى علينا هذه النعمة بأن أكمل لنا الدين فلا ينقصه أبدا، وأتمه فلا يحتاج إلى زيادة أبدا، ورضيه فلا يسخطه أبدا كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[١]، قال الله تعالى: ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا** ﴾.

فاللهم لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا، لك الحمد

---

[١] تفسير الطبري (٩/ ٥١٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد على كل حال.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

هذه الآية الكريمة تتحدث عن شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، وخاصّية من خصائصه المميّزة، وعن قضية منهجية من أهم خصائص عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة ومنهجهم القويم، ألا وهي خاصية: الوسطية في الإسلام ومعالمها العظام.

هذا المفهوم الشرعي الأصيل أصابه ما أصاب غيره من المفاهيم الشرعية التي تلاعبت بها الأهواء قديماً وحديثاً، وحرّفتها عن دلالتها الشرعية لغايات وأهدافٍ خاصة، بعيدة عن المعنى الشرعي والفقه المقاصدي لتلك المعالم والسمات.

هذا المعلم والمعنى الذي أصبح يطرح ويسمع ويتكرر كثيرا على الألسنة والأقلام المعاصرة، وخاصة عند الحديث عن الطروحات التسويغيّة لبعض المخالفات الشرعية أو الفتاوى التبريرية والاعتذارات المتكلّفة؛ متضمنةً الاتهام المبطّن لمنكِر تلك المخالفات بأنه قد حاد عن الوسطية، وجنح إلى الغلو والتطرف ونحوها من العبارات.

والوسطية في مفهومهم هو ذلك الواقع المبرّر والهوى المقرّر، وتعدى ذلك إلى تسويغ بعض البدع الظاهرة، وما عليه بعض دعاة الفرق الضّالة بأن الإنكار عليهم جنوح عن الوسطية وميل إلى التطرف، وأن الوسطية هي جمع بين السنة والبدعة، وبين الاستقامة والانحراف، وبين الحق والباطل، بل بين الكفر والإيمان عند غلاتهم.

الوسطية هي إحدى خصائص هذا الدين الإسلامي الحنيف بين الملل والأديان، وأحد خصائص معتقد ومنهج أهل السنة والجماعة بين المذاهب والفرق والمقالات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذه الفرقة الناجية -أهل السنة - وهم وسط في النحل؛ كما أن ملة الإسلام وسط في الملل".[٢]

والملل هي الأديان، أما النّحل فهي طوائف الملّة الواحدة، من الانتحال وهو التّمذهب.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما معنى الوسطية في الإسلام، وما مفهومها؟ ولماذا الحديث عن الوسطية في هذا الحين من الزمان.

وما هي أبرز مظاهر هذه الوسطية؟ وما هي أبرز المفاهيم المنحرفة عن حقيقتها؟

لعل هذه الأحرف تجيب على شيء من هذه التساؤلات المهمّة في هذه المسألة الجليلة.

قبل الحديث عن معاني الوسطية ومفهومها يناسب أن نستعرض النصوص التي وردت فيها الوسطية لفظاً أو معنى للوقوف على معانيها الشرعية من خلال تلك النصوص.

أولا: النصوص الدالة على وسطية الإسلام ومعانيها ودلالاتها.

أما معنى الآية المصرحة بوسطية هذه الأمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

فإن خير ما فسرت به -وغيرها من الآيات- هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلغ. ويكون

[٢] مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣] والوسَط: العدل)).[٣]

وفي رواية مرفوعة عند البخاري: (({وكذلك جعلناكم أمة وسطا}قال: عدلا - {لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا})).[٤]

قال الحافظ عن تفسير الوسط بالعدل: " هو مرفوع من نفس الخبر وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم".[٥]

وهو اسم جنس بمعنى (عدولًا) كما جاء مصرّحاً به في بعض الروايات، أو هو باقٍ على إفراده بمعنى سبيلًا ومنهاجًا عدلًا، فهو عدل بمعنى الاشتقاق وبمعنى الخيرية كذلك، فهو متضمّن للصفتين معًا، ولعل الأجود صيغة الإفراد على الوصف بالمصدر، يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمثنى والجمع.[٦]

فالنبي صلى الله عليه وسلم فسّر الوسطية هنا بالعدل، وهو ما جاء مصرحا به أيضا في تفسير الطبري مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة إضافة إلى طريق أبي سعيد المتقدم. وهذا ما ذهب إليه أئمة المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم.[٧]

---

[٣] صحيح البخاري .كتاب التفسير / باب قوله {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}. ٤٤٨٧ (٦ / ٢١).

[٤] صحيح البخاري- كتاب الاعتصام- باب قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا}وما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم ٧٣٤٩(٩/ ١٠٧).

[٥] فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٧٢).

[٦] لسان العرب (١١/ ٤٣٠).

[٧] تفسير الطبري (٢ / ٦٣٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحافظ ابن كثير: " وقوله: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) الوسط هنا: الخيار والأجود كما يقال في قريش؛ أوسط العرب نسبا ودارا، أي: خيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح ". [٨]

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط فأطراف داخله تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين"[٩].

وهذه الآية يفسرها أيضا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠] قال الشنقيطي رحمه الله: "بين وصف الأمة بالخير ووصفها بالوسطية تلازم، إذ إن الوسط في لغة العرب الخيار".[١٠]

والعدل والخيار لفظان بينهما تناوب وكلاهما بمعنى الوسط.

وهذا المعنى للوسط هو الوارد في النصوص الأخرى مثل قوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]أي: الفضلى، وهو أسلوب تفضيل؛ فهي أفضل الصلوات، وهي صلاة العصر كما ثبت بذلك الحديث، فعن علي رضي الله عنه، قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله صلى الله عليه

---

[٨] تفسير ابن كثير(١ / ٤٥٤).

[٩] تفسير السعدي (١ / ٧٠).

[١٠] أضواء البيان(١/٨٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم: ((ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس))[11] وهي الوسطى أيضا بين صلاتي الليل والنهار.

وقوله تعالى: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾**[المائدة:٨٩]**، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم. وقال عطاء الخراساني: من أمثل ما تطعمون أهليكم.[12] وقال مقاتل: من أعدل ما تطعمون أَهْلِيكُمْ من الشبع..يَقُولُ: لَيْسَ بأدنى ما تأكلون وَلا بأفضله"[13]، وقال ابن جرير: "وأولى الأقوال في تأويل قوله: {من أوسط ما تطعمون أهليكم} عندنا قول من قال: من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة".[14] وقال ابن الجوزي رحمه الله: فيه قولان:

أحدهما: من أوسطه في القدر..

الثاني: من أوسط أجناس الطعام..

قال الشوكاني رحمه الله: "والمراد بالوسط هنا المتوسط بين الإسراف والتقتير، وليس المراد به الأعلى كما في غير هذا الموضع".[15] وعليه فالوسطية هنا هي بمعنى الأعدل والأفضل، وعليه جمهور المفسّرين، وتحمل على الوسطية في القدر والكميّة لا في الجنس

---

[11] صحيح البخاري-كتاب الجهاد- باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ٢٩٣١(٤/ ٤٤)؛ صحيح مسلم- كتاب المساجد- باب الصلاة الوسطى ٦٢٧ (١/ ٤٣٦).

[12] تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٣).

[13] تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٠).

[14] تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٣).

[15] فتح القدير للشوكاني (٢/ ٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧] وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩] وهذا هو الأفضل والأعدل، وعلى هذا يجتمع في الوسطية هنا العدل والخيار مع البينيّة، فالبينية هنا هي العدل والخيار. وبهذا يمكن الجمع بين أقوال المفسّرين في هذه الآية الكريمة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨] قال ابن عباس "أعدلهم"[١٦]، فهو أفضلهم وأخيرهم وأعقلهم.

وعليه؛ فالوسطية الواردة في الآيات القرآنية كلها بمعنى (العدل) كما فسّر النبي صلى الله عليه وسلم بها آية البقرة. وهي كذلك في الآيات المحتملة معنى البينيّة أو غيرها، لأن البينيّة فيها هي أعدلها وأفضلها وأخيرها، والله أعلم.

وورد في السنة نحو ما ورد في القرآن، ومن ذلك:

١- قال صلى الله عليه وسلم: ((فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة)).[١٧] وهذا أفضل وأرفع وأعلى منازل أهل الجنة، نسأل الله الكريم من فضله.

٢- وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا وضع الطعام، فخذوا من حافته، وذروا وسَطَه، فإن البركة، تنزل في وسطِه))[١٨] أي: ما بين حوافّه. وهذا يدل على دخول معنى (البينيّة) في معنى الوسط. وقد يجتمع فيه المعنيان أيضاً فخير الطعام وسطه. وهو أفضل مما في الحوافّ، ولفضله تنزل فيه البركة، فوسط الطعام أعدله وأفضله.

---

[١٦] تفسير ابن أبي حاتم. (١٠ / ٣٣٦٦).

[١٧] صحيح البخاري ٢٧٩٠(٤/ ١٦).

[١٨] رواه ابن ماجه ٣٢٧٧(٢/ ١٠٩٠) وصحيحه الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأحاديث التي تضمّنت ألفاظًا مقاربة لمعنى الوسطية يدل عليه سياقها:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم هديا قاصدا "، ثلاث مرات؛ فإنه من يشاد الدين يغلبه)).[١٩] أي: وسطاً بين الغلو والتقصير، والقصد هو التوسّط والاعتدال. وهذا جمع بين العدل والبينيّة.

٢- وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: ((وأسألك القصد في الفقر والغنى)).[٢٠] أي: الاعتدال في النفقة في حال الفقر وفي حال الغنى لا تقتير ولا إسراف. وهو الأعدل والأفضل في النفقة.

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: ((القصد القصد تبلغوا)).[٢١]

والمعنى: الزموا الطريق الوسط المعتدل والاقتصاد في الأمور، وتجنّبوا طرفي الإفراط والتفريط لتبلغوا حاجتكم وهدفكم المقصود. وهذا أعدل الطريق وأفضله.

وبهذا يظهر لنا المعنى الشرعي للوسطية، وليس هو على ما درج عليه بعض الناس من معنى جزئي للوسطية وهي التي يكون بين الجيد والرديء فيقال: فلان وسط في كرمه ووسط في شجاعته. فهذا المعنى جزئي وناقص، وليس هو مقصود الوسطية في الآية ولا في المصطلح الشرعي، كما ورد في النصوص كما تقدم.

وليس هو ما يحصل من تلاعب بعض المعاصرين بهذا المصطلح الشرعي، فكلٌّ يدّعي أن ما عليه من هوى هو الوسطية التي دعا إليها الإسلام. وإن كان بلغ الغاية في الغلو والشطط أو الغاية في التفسّخ والانحلال.

وإنما تعني التوازن والاعتدال بين طرفي الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، والإسراف والتقتير، وهذا أعدل الأمور وأفضلها.

---

[١٩] رواه أحمد بإسناد صحيح ١٩٧٨٦(٣٣/ ٣٢).

[٢٠] رواه النسائي١٣٠٥(٣/ ٥٤).

[٢١] صحيح البخاري ٦٤٦٣(٨/ ٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكل أمر له طرفان مذمومان، إما إلى إفراط وإما إلى تفريط، فالوسط منه هو التوازن والاعتدال بينهما، فيجتمع فيه العدل والخيرية مع البينيّة بين الطرفين.

والميزان الدقيق الذي تعرف به الوسطية الشرعية في العلم والعمل هو (ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه) وما كان عليه سلف الأمة وأئمّتها أهل السنة والجماعة من الاعتقاد والعبادة والتعامل والسلوك والأخلاق والآداب.

فما كانوا عليه فهو الذي يمثّل الميزان الصحيح للوسطية الشرعية، وما خالف ما هم عليه إفراطاً أو تفريطاً فهو مخالف للوسطية الشرعية.

ولذا فإن الإمام البخاري رحمه الله تعالى لما ترجم لباب الوسطية في كتاب الاعتصام من صحيحه قال: باب "قول الله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} وما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة وهم أهل العلم". فهو رحمه الله يستدل بوسطية الأمة على وجوب لزوم السنة والجماعة، فهم الذين يمثّلون الوسطيّة في هذه الأمة، ويمثلهم أهل العلم فيهم، ووجه الدلالة والربط -والله أعلم- هو أن أهل العلم هم أوسط الأمة بإطلاق، وخيارها بعد نبيّها وصحابته رضي الله عنهم.

ثانيا: معنى الوسطية في الإسلام.

إن المتأمل للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أشارت إلى هذه السّمة، إضافة إلى لغة العرب التي نزل بها القران الكريم وأقوال علماء السلف الذين فسروا تلك الآيات والأحاديث يجد أن هذا اللفظ لا يطلق إلا على ما توافرت فيه واحدة من صفتين:

الأولى: الخيرية. أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل والعدل.

الثانية: البينية: أي ما كان بين طرفين متقابلين.

وكثيرا ما تجتمع الصفتان.

وعليه فالوسطية في اللغة لها إطلاقان:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- إطلاق ماديّ حسّي، وهو كون الشيء في وسط له طرفان.

٢- إطلاق معنوي، وهو كون الشيء أفضل الأمر وأعدله وأجوده، وهذا يقع غالبا بين ضدين متقابلين مذمومين يتميّز عنهما بأفضليته.

وكثيرا ما يجتمع الإطلاقان.

وعليه فالوسط في الاصطلاح: معنى يجمع بين العدل والفضل والجودة والرفعة والمكانة العلية، كما يجمع بين الاستواء والاستقامة والاعتدال بين مجاوزة الحدّ المشروع والقصور عنه. فهو بين طرفين متقابلين مذمومين.

ويقال: "خير الأمور أوساطها، والفضائل توسط بين رذيلتين"[٢٢] وهدىً بين ضلالتين ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦].

قال الزمخشري رحمه الله: "وقيل: للخيار: وسط لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار، والأوساط محمية محوّطة. ومنه قول الطائي:

كَانَتْ هِي الْوَسَطَ المِحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ ... بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا"[٢٣]

وثمّة من فرّق في المعنى بين [الوسْط] بالتسكين، وهو المنتصف بين طرفين، كنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس وسْط المجلس. وبين [الوسَط] بفتح السين، وهذا يكون بمعنى الخيار والعدل؛ وعليه فليس كل ما كان وسْطا بين طرفين يكون فاضلًا عدلًا، كالوسط بين الجيد والرديء والصالح والطالح..ونحوها.

ويقابل الانحراف عن الوسطية أمران:

٤- الغلو والإفراط.

٥- الجفاء والتفريط.

---

[٢٢] تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك (ص: ٦).

[٢٣] تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهما طرفان متقابلان؛ فالغلو هو: مجاوزة الحد، وقد ورد النهي الصريح عنه في القرآن والسنة، وكذلك الجفاء كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

ثالثا: لماذا الأمر بالتزام الوسطية؟:

وأما لماذا الأمر بالتزام الوسطية فذلك للأسباب التالية:

الأول: لأن الله تعالى قد وصف هذه الأمة بها وامتدحها وحث عليها.

وهو خبر بمعنى الأمر فكما أنه جعلهم وسطاً فيجب عليهم التزام الوسط قدر وسعهم. ومن الإشارات لذلك تعليله بالشهادة، والشاهد لابد أن يكون عدلًا خياراً، أي وسطاً.

أ- قال تعالى: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣]**.فهذا خبر من الله تعالى، يخبرنا فيه بأن من خصائص هذه الأمة وهذا الدين الوسطية، فالواجب الالتزام بها والمحافظة عليها.

ب- كما قال تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وتؤمنون بالله﴾[آل عمران:١١٠]** فوصفها بالخيرية دليل على وسطيتها وعدلها وأفضليتها التي يجب أن تحافظ عليه.

ج- وقال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]**

وروى الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: "خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال: ((هذه سبيل الله)) ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ((هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ: **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**)).[٢٤] وهذه وسطيّة البينيَّة والخيريّة معاً.

الثاني: النهي عن ضدها.

ويقابل الوسطية -كما تقدم- أمران: ١- الغلو ويقابله الجفاء ٢- الإفراط ويقابله التفريط.

وهما وصفان مذمومان، جاءت النصوص الشرعية محذّرة منهما.

أولا: الأدلة المحذّرة من الغلوّ، ومنها:

أ- قوله تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**﴾ [النساء:١٧١].

ب- وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ [المائدة:٧٧].

والغلو: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بمجاوزة الحد إلى حيّز الإسراف.[٢٥]

أو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق[٢٦] ونحو ذلك.

---

[٢٤] مسند أحمد بن حنبل - ٤١٤٢ (١ / ٤٣٥) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

[٢٥] ينظر: الاعتصام، للشاطبي(١/٣٠٤).

[٢٦] اقتضاء الصراط المستقيم(١/٢٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج-وقال صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))[٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار، ونحو ذلك"[٢٨].

د-وقوله صلى الله عليه وسلم: (((لا تُشَدِّدوا على أنفسكم؛ فإنّما هلك من قبلَكم بتشدِيدِهم على أنفسهم، وستَجِدُونَ بقاياهُم في الصوامع والدِّياراتِ) !.))[٢٩]

وهنا ملحظ مهمّ وهو أن كلمة "تشدّد" ليست كلفظ التمسّك والالتزام، وإنما تخرج مخرج الذّم، ومنه: " شدّدوا فشدد الله عليهم"[٣٠] والشدّة لا تخلو من قسوة وخشونة ورعونة.

واللفظ الشرعي المفيد لمعنى الوسطية هو لفظ التمسّك قال تعالى: ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾[البقرة:٢٥٦].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((تمسّكوا بها، وعضّوا عليها..))[٣١] فلفظ التمسّك يفيد الجدّية والجزم في الالتزام وعدم التفريط والتهاون، أما التشديد ففيه معنى القسوة،

[٢٧] سنن ابن ماجه .كتاب المناسك ٣٠٢٩ (٤ / ٢٢٨). مسند أحمد بن حنبل - ٣٢٤٨ (١ / ٣٤٧) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير زياد بن الحصين فمن رجال مسلم.

[٢٨] اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٣٢٨).

[٢٩] أخرجه البخاري في "التاريخ " (٩٧/٢/٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣١٢٤ (١٠ / ١٤).

[٣٠] سنن أبي داود٤٩٠٤ (٤/ ٢٧٧).

[٣١] مسند أحمد١٧١٤٥(٢٨/ ٣٧٥)، سنن أبي داود٤٦٠٧(٤/ ٢٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الحديث: ((فإن كانت في دينه صلابة زيد في بلائه))[٣٢] فالبلاء رديف الشدّة والتديّن رديف الاستمساك، والله أعلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((لن يشادّ هذا الدين أحد إلا غلبه، فسدّدوا)).[٣٣]

ومما ورد في النهي عن الغلو والتشدد:

- حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش وقال بعضهم: أصوم فلا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)).[٣٤]
- وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً))[٣٥] أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.[٣٦]

ثانيا: الأدلة على الزجر عن الجفاء والتفريط والترك والتهاون:

وهو ما يقابل الغلو الانحراف في الطرف الآخر، وهو: الجفاء والتفريط، فالله أمرنا باتباع أحسن ما أُنزل إلينا دون مغالاة ولا تفريط، فقال تعالى: **﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٥٥-٥٦]**

---

[٣٢] رواه أحمد بسند حسن ١٤٨١(٣/ ٧٨).

[٣٣] صحيح البخاري ٣٩(١/ ١٦).

[٣٤] سنن النسائي – باب النهي عن التبتل ٣٢١٧(٦ / ٦٠) وقال الألباني: صحيح.

[٣٥] صحيح مسلم . باب هلك المتنطعون. ٦٩٥٥ (٨ / ٥٨).

[٣٦] شرح النووي على مسلم (٧/ ٢١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الطبري: يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به وقصرت في الدنيا في طاعة الله.[٣٧]

وَقال عليّ- رضي الله عنه- فيما روي عنه: "لا يُرى الجاهل إلّا مُفْرِطا أو مُفَرّطا"[٣٨]. وهو بالتخفيف المسرف في العمل وبالتشديد المقصر فيه.

فكأن اللسان العربي لشدّة حساسيته ونحوه إلى التوازن؛ شدّد الحرف بإزاء التفريط والتساهل، والعكس صحيح؛ فخفّف في حرف الإفراط طلباً لتسهيل المعنى والمضمون مع أن جذرهما واحد(ف ر ط).

الثالث: مدح السلف الصالح لها وثناؤهم عليها:

روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: "خير الناس النّمط الأوسط إليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي".[٣٩]

وقال ابن عائشة: "ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، فإما إلى غلوّ وإما إلى تقصير"[٤٠]. فإمّا تخذيل عن طاعة فيقع العبد في التقصير، وإمّا تنطّع وغلوّ ومجاوزة للمشروع.

وعن الحسن قال: "سُنّتكم -والله الذي لا إله إلا هو- بينهما: بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقلّ الناس فيما مضى، وهم أقلّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنّتهم حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا-إن شاء الله-".[٤١]

الرابع: السلامة من الهوى الذي حذّر منه الشارع، لأن الإفراط والتفريط والغلو والجفاء عادة يكون باعثه الهوى، وقد يكون الجهل، وقد يجتمعان.

---

[٣٧] تفسير الطبري (٢٠ / ٢٣٤).

[٣٨] لسان العرب (٧/ ٣٦٨).

[٣٩] أدب الدنيا والدين (ص: ٢٤).

[٤٠] الصلاة وأحكام تاركها - (١١ / ٧٠).

[٤١] سنن الدارمي - ٢٢٢(١ / ٨٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

وغالب الغلو ناتج عن شبهة، وذلك بسبب الجهل بالدين، وعلاجه العلم والورع والدعاء.

وغالب الجفاء فهو بسبب الشهوات، وعلاجه الإيمان وزيادته بالعبادة والصبر.

فالعلاج الشافي لأمراض القلوب من الشبهات والشهوات، وأفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن الله تعالى بينهما في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٦].

وغالبا ما يكون الغلو أو الجفاء رد فعل للطرف الآخر. فردود الأفعال عادةً لا تتسم بالانضباط والموضوعيّة، بل تتجاوز الحقّ إلى الطرف الآخر المخالف، نتيجة الانفعال والغضب.

قال الشاعر:

ولا تغْل في شيء من الأمر واقتصد**كلا طرفي قصد الأمور ذميم[٤٢]

الخامس: لأنها المقصودة في التشريع الإسلامي، وهي من أهمّ مقاصد الشريعة لإقامة الدين والدنيا.

السادس: لأنها أبعد عن الفتن والبدع الظاهرة والباطنة.

---

[٤٢] الدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ٣٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالفتن إنما تكون عادةً بسبب الاختلاف وقلة الاجتماع، وأما البدع فبسبب البعد عن السنة وعدم الاتباع، والنجاة في (السنة والجماعة) السنة المنافية للبدع، والجماعة المنافية للفرقة والاختلاف.

والفتن لها خصيصتان:

أ) أنها إذا بدأت تكون خفية يشتبه فيها الحق بالباطل، وإذا أدبرت تكون واضحة يبين فيها الصواب من الخطأ ولذلك يقول حذيفة رضي الله عنه – فقيه الفتن-: "تشتبه مقبلة، وتبين مدبرة ".[٤٣]

ب) أنها تُحدِث مفاسد عظيمة، وأضرارًا وخيمة؛ ومما ينسب للخليفة الراشد علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: "تبدأ في مدارج خفيّة، وتؤول إلى مضاعفة جلية، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضل رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سار فيها حطمته ".

فمن رام السعادة والسلامة فلا يتعرض للفتن، وليجتنبها، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتناب الدجال والنّأي عنه، قال صلى الله عليه وسلم: ((من سمع بالدجال فلينأ عنه، من سمع بالدجال فلينأ عنه، من سمع بالدجال فلينأ عنه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به بما معه من الشبه حتى يتبعه)).[٤٤]

وروى أبو داود وغيره عن المقداد بن الأسود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا "[٤٥] واها: أي عجبا. وفي "واهاً" معنى التشنّف والرغبة

---

[٤٣] مصنف ابن أبي شيبة – ٣٨٨٨٦باب ما ذكر في عثمان من الفتن وغيره(١٥ / ٢٣٧).

[٤٤] رواه أبو داود(٤٣١٩) وأحمد(١٩٨٧٥).

[٤٥] سنن أبي داود. باب فِي النَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ. ٤٢٦٥ (٤ / ١٦٤) قال الألباني : هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والفرح بالتحصيل والنوال، وقد جمعها ابن منظور في اللسان بقوله: "قيل: معنى هذه الكلمة التلهف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: واها له".[٤٦]

رابعا: لماذا الكلام عن الوسطية في الآن؟.

١): لأن الأمة في عصرها الحاضر تعيش ضعفا ظاهرا في كثير من ديار المسلمين وأحوالها، وقد اختلطت المفاهيم الشرعية لدى كثير من المسلمين بسبب ثورة الاتصالات العالمية، والأجهزة الحديثة، فأصبح الناس يعيشون فوضى عارمة في المعتقدات والأفكار واختلط الحق بالباطل، ولُبِّس على الناس ما نُزِّل إليهم، وتكلم الرويبضة، واختلطت الحقائق الشرعية، وفُسِّرت الألفاظ الشرعية بغير حقائقها الشرعية ومن ذلك الوسطية.

فوسط هذا الواقع المؤلم والاضطراب المهلك تشتد الحاجة إلى دلالة الأمة إلى الصراط المستقيم والمنهج العدل المبين؛ لإقامتها من كبوتها، وإيقاظها من رقدتها، وإنقاذها من أسباب هلاكها، وحراسة الدين من غلو الغالين وانتحال المبطلين، وتفريط الكسالى والمرجئين، ودعاوى المنافقين والمرجفين، لتستقيم على صراط الله المستقيم الذي أمرها الله باتباعه في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[الأنعام:١٥٣].

٢) ولأننا نعيش واقعا مؤلما بسبب البعد عن تحقيق هذه الوسطية الحقة في كثير من القضايا.

فمع وجود قلة من الشباب كانوا فريسة لأعدائهم بالشبهات المضلة، تجنبوا سبيل الوسطية والتزموا الغلو والإفراط في الدين.

---

[٤٦] لسان العرب (١٣/ ٤٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في مقابل ذلك قابلهم من رأى أن الالتزام بالدين تشدد، وأن إقامة شعائر الإسلام تزمت، فطعنوا في حقائق الدين وأصوله العظام وطعنوا في علماء المسلمين ودعاتهم، فوجد وللأسف من ولّى وجهه قِبل الغرب وماديته وثقافته، ويدعو إلى سنة الجاهلية الغربية، وكما يدعو إلى تطبيق القوانين الوضعية، وينادي بخلع حجاب المسلمة وباختلاطها، إلى غير ذلك من الدعوات.

وبين هؤلاء وأولئك طرائق قدد، تقرب من الحق وتبعد بحسب قربها وبعدها عن الوسطية الحقة. وسبب ذلك كله هو عدم الالتزام بمنهج الاسلام الحق، والوسطية التي أمر الله تعالى بها.

٣-وقد كثُر الطرح من الكُتَّاب ومن تأثر بهم من العوام في محاولة منهم لأسلمة الواقع والتسويغ له على أنه يمثل صورة الإسلام الوسطي المعتدل ..

هذا مع أن رسول الله ﷺ يقول: ((إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا..)).[٤٧]

وقد خاطب بذلك ﷺ الصحابة مبيّنًا لهم أن من طال عمره منهم فسيشهد هذا الاختلاف والتغيير.

وقد شهد أنس بن مالك رضي الله عنه ذلك الاختلاف عما كان عليه عهد النبوة، فكان يقول: ((إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أعْمالًا، هي أدَقُّ في أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إنْ كُنَّا لَنَعُدُّها علَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِنَ المُوبِقاتِ)).[٤٨]

وأنس رضي الله عنه قال ذلك في زمن لم يبعد كثيرا عن عهد النبوة، فكيف لو أدرك ما بعده من الأزمان المتأخرة، وشاهد ما فيها من الاختلاف الكبير..!؟.

---

[٤٧] تقدم تخريجه.

[٤٨] صحيح البخاري٦٤٩٢(٨/ ١٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "رحم الله لبيداً إذ يقول:

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ في أكنافِهِم**وبَقِيتُ في خَلْف[49] كجلدِ الأَجربِ

فقال عروة : رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا؟ فقال الزهري: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا؟ فقال الزبيدي :رحم الله الزهري كيف لو أدرك زماننا هذا؟!.[50]

ونحن نقول: كيف لو أدرك هؤلاء جميعا زماننا، وشاهدوا بأعينهم ما عليه الناس اليوم.

وعليه فالواجب أن تكون عين المرء على الإسلام بصفائه ونقائه كما شرعه الله، وأن يُخضع واقعه لقيم الإسلام، لا أن يخضع الإسلام لممارسات الناس وأهوائهم.

كما أن علينا وعلى الناس أن نرتقي بالناس وأنفسنا لنصل إلى امتثال الإسلام الصحيح..

فيلزم كل من أتاه الله تعالى شيئا من العلم –ولو يسيراً– أن يبيّن ذلك للناس إنذارا وإعذارًا وعملا بقول الله تعالى: **﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧].**

خامسا: أبرز مظاهر ومعالم الوسطية في الإسلام.

الوسطية: لفظ شرعي جاء تحديد معناه في النصوص الشرعية الكثيرة، كما تقدم.

[49] بتسكين اللام وبفتحها، وبعضهم يضمّ الخاء مع تسكين اللام.

[50] تهذيب الآثار(٣٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاسلام كله دين وسط في جميع جوانبه العلمية والعملية، العقدية، والتشريعية، والسلوكية، وتبرز هذه الوسطية فيما يلي:

١- الإسلام وسط بين الملل والنحل المحرّفة والوضعية.

أ- فالإسلام وسط بين المغضوب عليهم – اليهود – الذين قتلوا الأنبياء وغيروا شريعة الله وكذبوا على الله، وبين الضالين-النصارى- الذين عبدوا الأنبياء وألّهوهم وكذبوا على ربهم، واتخذوا الأحبار والرهبان أربابا من دون الله. قال تعالى: ﴿**اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ [**الفاتحة:٦-٧**].

وروي عن طائفة من السلف منهم سفيان بن عيينة: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه النصارى"[٥١].

ب- وأمّة الإسلام وسط بين الأمم في المواقف من أنبيائهم وصالحيهم، فمنهم من غلا فيهم حتى عبَدهم من دون الله أو مع الله، ومنهم من جفا الأنبياء وصالحيهم، بل وقتل بعضهم واتهمهم بالبهتان. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [**آل عمران:٢١**].

وأما هذه الأمّة فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم، ولم تغْل فيهم فترفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله. ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ**

---

[٥١] مجموع الفتاوى(١٣/١٠٠)، (١٦/٥٦٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:١٥٢].

ت- وهذه الأمة وسط بين الأمم التي استحلّت كل خبيث وطيب، وبين من حرّم الطيبات غلوًّا ومجاوزةً. أما هذه الأمة فقد أحلّ الله لها الطيبات وحرّم عليها الخبائث. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧]

٢- الإسلام وسط في الاعتقاد، بين الخرافيين الذين يتشبثون بكل شيء، ويتعلقون بكل شيء، حتى عبدوا الأحجار والأشجار والرموز، وظهر اليوم من يعبد الشيطان صراحة!، وبين الماديين الذين أنكروا كل شيء إلا ما كان محسوسًا لهم حتى أنكروا وجود الله وكذبوا بالمغيبات. فالإسلام وسط بين الملاحدة النفاة وبين الحلولية والاتحادية.

والإسلام وسط في ذلك كله، فما كان من عالم الغيب فلا يؤخذ إلا من مصدره الوحيد المعصوم؛ الوحي بنوعيه.

٣- والإسلام وسط في قضايا العقيدة وفي مسائلها الكبيرة، في الإيمان والصفات والقدر والأنبياء والصحابة والإمامة، ومنها على سبيل المثال:

أ- في الأسماء والصفات بين التعطيل والتمثيل. فمنهجهم إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب- وفي باب القدر وسط بين الجبرية -نفاة مشيئة العبد- وبين القدرية -نفاة مشيئة الخالق تعالى في أفعال العباد.

فأهل السنة يثبتون أن للعبد مشيئة واختيارا، وأنّه الفاعل الحقيقي لأفعاله، لكن مشيئته تحت مشيئة الخالق تعالى وتابعة لها، وأن الله تعالى خالق للعبد وأفعاله، قال تعالى: ﴿**لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيم*وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[**التكوير:٢٨-٢٩**] وقال تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾[**الصافات:٩٦**].

ج- وفي باب الوعد والوعيد بين الوعدية المرجئة وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة.
فالمرجئة أعملوا نصوص الوعد وأهملوا نصوص الوعيد، وقابلهم الوعيدية فأعملوا نصوص الوعيد وأهملوا نصوص الوعد. بينما أهل السنة أعملوا نصوص الوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم*وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم**﴾[**الحجر:٤٩-٥٠**] وقال تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾[**غافر:٣**].

د- وفي باب الأسماء والأحكام بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة.
فالخوارج والمعتزلة سلبوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة وحكموا عليه بأنه مخلّد في النار، فقابلهم المرجئة الذين زعموا أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان.
وأهل السنة قالوا إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطى الإيمان على الإطلاق ولا يسلبه على الإطلاق. هذا من حيث الاسم، أما الحكم فهو في الآخرة تحت المشيئة إلا أنّه لا يخلّد أحد من الموحّدين في النار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـ- وفي التعامل مع التوكل والأسباب بين المتواكلين المطّرحين للأسباب وبين المعتمدين عليها المقصّرين في التوكل؛ فجمع أهل السنة بين التوكل على الله والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب التي شرع الله ورسوله العمل بها، فجمعوا بين عبودية القلب بالتوكل على الله، وعبودية الجوارح بالعمل بالأسباب المشروعة عملًا بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وبقوله صلى الله عليه وسلم:((احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز)).[٥٢]

و- وفي المحبة والخوف والرجاء بين الخوارج والوعيدية الذين غلوا في الخوف، وبين المرجئة والصوفية الذين غلوا في المحبة والرجاء، وجمع أهل السنة بين الخوف والمحبة والرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ولذلك قال بعض السلف: " من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحّد".[٥٣]

ز- وفي الصحابة بين الخوارج والروافض، فالخوارج كفروا عليا رضي الله تعالى عنه وطائفة من الصحابة بينما الرافضة غلوا في علي وآل بيته رضي الله تعالى عنه، وكفّروا كثيرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ح- وفي التعامل مع كرامات الأولياء بين الصوفية والخرافيين الذين غلوا في كرامات الأولياء، وبين المعتزلة والعقلانيين الذين جَفوا وغَلوا في إنكار الكرامات بالكلية. فأثبت أهل السنة والجماعة الكرامات لمستحقيها ونفوها عن كل مدّعٍ وكذاب دجال.

---

[٥٢] صحيح مسلم-كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله(٤/ ٢٠٥٢).

[٥٣] نسبه الغزالي في الإحياء(٢٥٧/٤) وابن السبكي في الفتاوي(٥٥٩/٢) إلى مكحول الدمشقي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبالجملة فأهل السنة والجماعة هم وسط في سائر أبواب السنة ومسائل العقيدة؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.[٥٤]

٤- الإسلام وسط في العقل بين الذين ألّهوه وقدموه على نصوص الشرع كالمتكلمين والعقلانيين، وبين الذين طرحوه وآمنوا بالخرافة والدجل والأوهام كالصوفية والخرافيين.

وأيضا هو وسط بين العقل والعاطفة فلا هو الذي طرح العاطفة بالكلية والحماس والغيرة، ولا هو الذي أطلق لها العنان فجعلها تنطلق بأصحابها، بغير زمام ولا خطام، وبغير ضوابط شرعية ولا قواعد مرعيه.

٥- والاسلام وسط في الشرائع والتكاليف، بين التشديد المفرط وبين التسهيل المنفرط، قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ **[البقرة:٢٨٦]** وقال تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾ **[الحج:٧٨]** وقال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ **[البقرة:١٨٥]**.

قال الشاطبي رحمه الله: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير

---

[٥٤] مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال".[٥٥]

٦- والإسلام وسط في العبادة.

فنهى عن التشدد كما في قصة الثلاثة السالف ذكرهم.

ونهى عن التفريط، فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

ومنع من الابتداع، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢].

وحث على المداومة على العمل ولو قلّ، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه))[٥٦].

وسئل صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال:((أدومه وإن قلّ))[٥٧].

٧- والإسلام وسط في الشعائر التعبدية؛ فهي قائمة على التلازم بين الظاهر والباطن، فالعبادة فيها أعمال ظاهرة كالحركات في الصلاة والبذل والعطاء والسعي والحركة. وفيها أعمال قلبيّة من خشوع واستحضار نية، واستشعار عظمة الله تعالى

[٥٥] الموافقات (٢/ ٢٧٩).

[٥٦] صحيح البخاري. كتاب الإيمان- باب أحب الدين إلى الله أدومه. ٤٣ (١ / ١٧).

[٥٧] صحيح مسلم. ١٨٦٤باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره. ١٨٦٤ (٢ / ١٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومراقبته، فهو وسط في ذلك بين من جعل دينه باطناً تأمّليّاً كالبوذيين وبين من جعله ظاهرا بلا باطن كالمنافقين.

٨- والإسلام وسط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالأمر بالمعروف يكون بالمعروف، والنهي عن المنكر يكون بغير المنكر.

قال صلى الله عليه وسلم كما عند مسلم وغيره:((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)).[٥٨]

فلا يجوز إهمال هذه الشعيرة من شعائر الإسلام العظيمة بحجّة الحرية الشخصية، ولا يجوز إنكار المنكر بمنكر أعظم، فإن في ذلك نقضا لمقاصد الشريعة التي جاء الإسلام لتحقيقها. قال سفيان الثوري رحمه الله: " لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث:

-رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى.

- عدل بما يأمر، عدل بما ينهى.

- عالم بما يأمر، عالم بما ينهى ".[٥٩]

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم علماً قبله، ورفقاً أثناءه، وصبراً بعده.

٩- والإسلام وسط في الإنفاق، قال تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧]** وقال تعالى: **﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩].**

[٥٨] صحيح مسلم. باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان. ١٨٦(١ / ٥٠).

[٥٩] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال (ص: ٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الحافظ ابن كثير عن آية الفرقان: " أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلا خيارا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا".[60]

وعند البزار من حديث حذيفة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْعِبَادَةِ)).[61]

١٠- والإسلام وسط في الأخلاق والسلوك بين المثالية وإرادة الناس معصومين، وبين الواقعية والفوضوية.

ووسط بين الغلاة الذين راموا العصمة والكمال وبين الجفاة الذين يدعون إلى الانحطاط في الشهوات والحيوانية.

والإسلام أمر بالعدل والإحسان مطلقا، وهما أسمى الأخلاق التي تفتخر بها الأمم الواعية، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ **[النحل:٩٠]**.

وأمر الله تعالى بأخذ الحق دون إجحاف أو زيادة، فقال تعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ **[البقرة:١٩٤]** وقال تعالى: ﴿ **وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ **[الشورى:٤٠]**.

---

[60] تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٣).

[61] مسند البزار = البحر الزخار٢٩٤٦(٧/ ٣٤٩) وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن فيه مسلم بن حبيب، ولم يجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوي عنه، وبقية رجاله ثقات(١٠/٢٥٢)..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحثّ على العفو والصفح، قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [البقرة:٢٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

بل أمر الله بدفع السيئة بالحسنة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلت:٣٤].

١١- والإسلام وسط بين الالتفات إلى الدنيا والتعلق بها وبين اطّراحها بالكليّة، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه)).[٦٢] وعن حنظلة الأسيدي قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنا إذا كنا عندك كنا، فإذا فارقناك كنا على غير ذلك، فقال: ((والذي نفسي بيده لو كنتم تكونون على الحال الذي تكونون عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولأظلتكم بأجنحتها)).[٦٣]

١٢- والإسلام وسط بين الإفراط والتفريط في الفتوى والدعوة؛ فهو يحث على التيسير في الفتوى والتيسير في الدعوة، بين الإفراط والتشديد والتساهل والتفريط، كما في حديث جابر رضي الله تعالى عنه: ((إن الله لم يبعثني معنتا....)).[٦٤] وقال صلى الله عليه وسلم: ((بعثت بالحنيفية السمحة)).[٦٥] وأوصى أبا موسى ومعاذا

---

[٦٢] صحيح البخاري–كتاب الصوم– باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له ١٩٦٨ (٣/ ٣٨).

[٦٣] رواه أحمد وصححه الأرناؤوط١٩٠٤٦(٣١/ ٣٩١).

[٦٤] صحيح مسلم ١٤٧٨(٢/ ١١٠٤).

[٦٥] مسند أحمد(٣٦/ ٦٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رضي الله عنهما لما بعثهما صلى الله عليه وسلم إلى اليمن: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا)).[٦٦]

وتتبين هذه الوسطية في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله: "إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد".[٦٧] فَفتَح الباب للرخص للثّقات من العلماء وأغلقه دون غير الثقات، وهذا غاية التوسط والاعتدال بين المترخصين بفتح الذرائع والمتشددين بغلقها.

١٣- والإسلام وسط في الحكم على الأشخاص: بين الاتهام بلا مسوّغ والتبرير المفرط.

فالأصل في المسلم السلامة ليس سوء الظّن أو الشك، ولو كان عنده ما لا ينبغي من بعض التفريط أو الاجتهاد الخطأ في الأعمال والأقوال، ولا يجوز امتحان الناس واختبارهم ببيان عيوبهم وأخطائهم.

فالحكم على الأشخاص إنما يكون بالظاهر، أما النوايا والمقاصد فأمرها إلى الله وحده لا شريك له.

---

[٦٦] صحيح البخاري ٣٠٣٨(٤/ ٦٥)، صحيح مسلم ١٧٣٣ (٣/ ١٣٥٩).

[٦٧] جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

والحكم على الأشخاص يكون بالعلم القاطع المنافي للظنون والشكوك، أو بالأغلبي بشرطه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

والحكم على الأشخاص أيضا لا يكون إلا بالعدل والإنصاف، حتى لو كان المحكوم عليه خصما فضلا عن غيره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨].

والأصل في الإنكار الستر، وليس التشهير وإشاعة زلّات الآخرين، فالمؤمن يستر وينصح، والمنافق يعيّر ويفضح، وعند الله تجتمع الخصوم.

ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا حصل من بعض أصحابه خطأ لا يسمّيهم غالباً، بل يقول: ((ما بال أقوام..))[٦٨] ونحوها، فالأصل هو بيان الحق وتوضيح الخطأ. وقد تقتضي المصلحة الشرعية التعيين نظراً لفحش المقالة، ودعوة قائلها إليها، وتزيينها في قلوب العامة، وغير ذلك من الضوابط.

قال الشافعي رحمه الله:

تعمَّدني بنصحك في انفراد ... وجنبني النصيحة في الجماعة

[٦٨] صحيح البخاري (١/ ٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تجزع إذا لم تُعطَ طاعة[٦٩]

وعلى كلّ؛ فأهل السنة أعلم الخلق بالحقّ، وأرحم الخلق بالخلق، فهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله.. فلا يجاملون في ترك بيان الحق، ولا يبالغون في نقد المخالف وتجاوز حدود التعامل الشرعي معه.

وبهذا يتبيّن أن الإسلام دين وسط خيار عدل، ليس أصحّ منه دين ولا أطيب منه ملّة ﴿**إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [**الإسراء:٩**].

نسأل الله الثبات على دينه والاستقامة على أمره.

وختاما نشير إلى بعض الأمور المهمة، ومنها:

١- العودة الصادقة إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على منهج السلف الصالح علما وعملا واعتقادا وعبادة وحكماً وتربية وأخلاقاً وسلوكا، والحذر من البدع والشهوات المحرّمة، وظاهر الإثم وباطنه، ما صغر منه وما عظم.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ [**الأنفال:٢٠**].

٢- الممارسة العملية الحقة للوسطية في كل الأمور، فهي طوق النجاة، وسلّم السلامة، ومرقاة الفلاح، وذريعة القبول بإذن الله تعالى.

٣- لزوم جماعة المسلمين وأئمتهم من الولاة والعلماء، والبعد عن كل وسيلة تؤدي إلى الاختلاف والتفرق، والسعي إلى توحيد الكلمة على كلمة التوحيد.

---

[٦٩] ديوان الإمام الشافعي (ص: ٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- سلامة الصدر من الغل للذين آمنوا واتهامهم بما ليس فيهم، والحذر من تكفير المسلمين أو تبديعهم أو تفسيقهم أو تخوينهم أو أذاهم بأدنى أذى بغير برهان صريح من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بل ينبغي الدعاء لهم بالمغفرة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[**الحشر:١٠**].

٥- ضبط النفس وحفظ اللسان من الكلام فيما لا يعني المسلم والاشتغال بما يعنيه، وخاصة الكلام في أعراض المسلمين، وخاصة الأمراء والعلماء والدعاة والصالحين والمصلحين.

٦- الصبر وعدم التسخط، فقد قال صلى الله عليه وسلم ((واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)).[٧٠]

٧- الدعاء والتضرع إلى الله تعالى كما ورد عند ابن أبي شيبة والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ الَّذِي يَدْعُو بِدُعَاءٍ كَدُعَاءِ الْغَرِيقِ.))[٧١]

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٧٠] مسند أحمد بن حنبل - ٢٨٠٤ (١ / ٣٠٧) وقال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٨٠٦ في صحيح الجامع.

[٧١] مصنف ابن أبي شيبة — ٢٩٧٨٣باب في فضل الدعاء (١٠ / ٢٠١) المستدرك على الصحيحين للحاكم / كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح و الذكر ١٨٦٩ وكتاب الفتن والملاحم٨٣٠٨ (١ / ٦٨٧) وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

المقدمة: ١
أولا: النصوص الدالة على وسطية الإسلام ومعانيها ودلالاتها.. ٣
ثانيا: معنى الوسطية في الإسلام. ٩
ثالثا: لماذا الأمر بالتزام الوسطية؟: ١١
رابعا: لماذا الكلام عن الوسطية الآن؟. ١٨
خامسا: أبرز مظاهر ومعالم الوسطية في الإسلام. ٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب